الطبيبة فرح: أخذت أطفالي إلى غزة لرؤية عائلتنا فحوصرنا 77 يومًا في حرب مرعبة

الخميس 21 مارس 2024 02:05 م

في مقال نشرته صحيفة "الجارديان"، تصف طبيبة الأشعة الفلسطينية المقيمة بلندن "فرح مراد" إجازتها وأولادها المريعة بمسقط رأسها بغزة.

وتقول "فرح": "عندما وصلت أنا وأطفالي الثلاثة الصغار إلى غزة في شهر أغسطس، كنا نرغب في قضاء إجازة لمدة شهرين لزيارة عائلتي بعد 10 سنوات أمضيناها في بناء حياتنا في المملكة المتحدة. أنا أخصائية أشعة، ولكن منذ أن أنجبت أطفالي الصغار أصبحت أمًا بدوام كامل، وأستعد لامتحانات الزمالة بينما يعمل زوجي كجراح في لندن".

كانت الخطة هي صنع ذكريات سعيدة للأطفال الذين تبلغ أعمارهم تسعة وأربعة و18 شهرًا - حيث أطلب منهم مقابلة أقاربهم ورؤية المكان الذي نشأت فيه للمرة الأولى.

وهكذا، حزمنا حقائبنا وودعنا زوجي وتمنى لنا رحلة آمنة، ولم يكن أحد منا يشك في أننا سنكون محاصرين في حرب مرعبة، وغير متأكدين من أننا سنرى بعضنا البعض مرة أخرى. انتهى بنا الأمر بالفرار من مكان إلى آخر في غزة لمدة 77 يومًا، وعيشنا في كابوس البقاء والموت والخوف الذي ما زلنا لا نستطيع أن نستيقظ منه، حتى بعد أن كنا من بين المحظوظين الذين تم إجلاؤهم.

بعد رحلة استغرقت 14 ساعة، وهبطت أولًا في القاهرة، كنت حريصة على إعطاء والدتي عناقًا طويلًا جدًا، والاستمتاع بالكعك اللذيذ الذي تصنعه، وقضاء بعض الوقت مع الأصدقاء من الجامعة والاستمتاع بغروب الشمس على شاطئ غزة. لكن في الساعة السادسة من صباح يوم 7 أكتوبر، استيقظت أنا وعائلتي في منزلنا بحي الرمال في الشمال، على سماع أصوات عالية، وهرعنا إلى الأخبار ووسائل التواصل الاجتماعي لمعرفة ما كان يحدث ولم تتح لي الفرصة حتى للتغلب على الصدمة قبل أن تبدأ الحرب عند منتصف الليل. وما تلا ذلك كان أسبوعًا من الليالي الطوال – اهتز المنزل وصدر صريرًا من الغارات الجوية القريبة – ثم جاءت الأوامر الإسرائيلية بالإخلاء.

وبقلوب يائسة، خرجنا من الرمال متجهين نحو مخيم النصيرات جنوبًا. وأخذنا عربة يجرها حصان إلى النقطة حيث كان علينا بعد ذلك السير لمدة أربع ساعات. كل ما كنت أحمله هو طفلي بين ذراعي وحقيبة ظهر تحتوي على أهم المستندات الأساسية، وقطعة قماش لكل واحد منا، وقليل من الحليب وبعض الحفاضات. لكن والدي - الذي يعاني من حالة صحية - لم يتمكن من الانضمام إلينا. عندما ابتعدنا عنه، شعرت في أعماقي أن هذه ستكون المرة الأخيرة التي أراه فيها.

بعد أسابيع من صعوبات الاتصال، تلقت والدتي مكالمة هاتفية في 7 ديسمبر من شخص غريب يخبرنا أن أبي قد أصيب بثلاث رصاصات في ظهره على يد قناص إسرائيلي بينما كان يحتمي في إحدى مدارس الأونروا. وظل ينزف وحيدًا حتى 8 ديسمبر عندما توفي، و يتلق أي رعاية طبية حيث كانت الدبابات تحاصر المبنى. ما زلت أعيش مع الألم عندما أعلم أننا لا نستطيع حتى الوصول إلى جسده.

نزحت مع أطفالي الثلاثة الصغار وأمي وأخي الصغير وجدتي التي تجلس على كرسي متحرك عدة مرات، وتركنا الأماكن التي كنا نحاول العثور على الأمان فيها إلى أماكن أخرى كنا نعلم أننا لن نكون آمنين فيها أيضًا. وكان كل مكان مزدحمًا بالنازحين نمنا على الأرضيات، دون ملابس دافئة أو طعام أو مياه نظيفة أو خصوصية أو أمان، وكنا نتوق إلى روتيننا اليومي الهادئ المعتاد - للمنزل، لتناول الوجبات الساخنة والضحك حول الطاولة. في كل مرة نزحنا، تركنا وراءنا الأماكن والأشخاص والأشياء التي نحبها، ودسنا على جثث مخبأة تحت الأنقاض. لقد شعرت بأنها معجزة أننا نجونا.

كل يوم وليلة كنا منفصلين، كان زوجي يشاهد الأخبار، ويبحث عن وجوهنا بين الموتى، ويحاول جاهداً التواصل وسماع أصوات أطفاله عبر الهاتف. لقد قام بحملة من أجل عودتنا الآمنة من خلال المكالمات ورسائل البريد الإلكتروني، وتمكن أخيرًا من وضع اسمي وأسماء الأطفال على قائمة الإخلاء.

عبرنا حدود رفح في 22 ديسمبر ولم أشعر بالأمان حتى أصبحت قدمي على الجانب المصري. وهناك، شعرت وكأنني أستطيع التنفس مرة أخرى.

وبعد ساعتين فقط، تلقت أمي وأخي وجدتي أمر إخلاء آخر لمغادرة مخيم النصيرات والانتقال إلى رفح. إنهم ما زالوا هناك الآن، بلا ماء ولا طعام، ينامون في المرآب، في انتظار الغزو البري الذي وعدت به إسرائيل. أشعر بالذنب في كل لحظة. كيف يمكنني أن أكون سعيدة لأنني آمنة بينما هم ليسوا كذلك؟

عدنا إلى لندن في نهاية شهر يناير. لقد عاد أطفالي أخيرًا إلى المدرسة الآن، لكنهم يغطون آذانهم كل ليلة، كما فعلوا عندما كانت القنابل تسقط من حولهم، محاولين إخفاء الأصوات الرهيبة. كانا يعانقان نفسيهما، مثلما حاولت أن أعانقهما عندما دوى صوت القنابل بالقرب منهما. أردت التأكد من أننا إذا متنا، فسنموت معًا.

لم يشهد أطفالي الحرب من قبل، لأنهم لم ينشأوا في غزة. لكن في تلك الأيام الـ 77، رأينا الموت أمام أعيننا. يمكنهم أن يتذكروا كل التفاصيل، ويتذكروا اللحظات الأكثر رعباً وإهانة خلال السير لساعات طويلة تحت القصف المستمر، حيث كان القناصون والدبابات الإسرائيلية يوجهون إلينا عبر ما كان من المفترض أن يكون "ممراً آمناً" في رحلة الإخلاء إلى الجنوب. وبينما كنا نعيش هذا الجحيم، ظللت أفكر: "كيف يكون هذا ممكنًا؟ كيف لا يستطيع أحد أن يوقف ما يحدث لنا؟ كيف تركنا العالم وصناع القرار والذين يقولون أنهم يدافعون عن حقوق الإنسان لوحدنا لنعيش هذا الأمر؟".

الآن، عندما أرى دعم الناس في شوارع لندن وآخرين يشاركون قصصنا ويظهرون الحب والتضامن، أشعر بالارتياح. آمل فقط أن تنضم المملكة المتحدة، البلد الذي أحبه إلى الحكومات الأخرى التي تدعو إلى وقف إطلاق النار الآن، وتمارس الضغط لوقف هذه الإبادة الجماعية التي تتكشف.

كل ما نحلم به أنا وأولادي الآن هو السلام والقدرة على العيش. ولكني أريد أيضًا أن يسمع العالم أصواتنا ويرى ما يحدث لنا. تخيل كيف عشنا لحظة بلحظة. لا أعرف لماذا نجونا، ولا أعرف إذا كانت عائلتي ستنجو أتمنى فقط أن تتوقف هذه الحرب.

https://www.theguardian.com/commentisfree/2024/mar/01/gaza-children-family-war-protest